لَحظَاتُهِمْ الْلأَخِيرَةُ كَمَا تَمَنّوْا

سُبْحَانَ مَنْ كَتَبَ الْآجَالَ قَبْلَ خَلْقِ الْأَيّامِ وَقَطَعَ الْآمَالَ بِالْمَوْتِ وَالسئَامِ . لَهُ الْدّوَامُ بَاقِيْ حَيْ لَلا يَمُوْتُ وَكُلُّ مَخْلُوْقٍ يَمُوْتُ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ ؛ فَهُوَ أَوّلُ بِلَلا ابْتِدَاء وَآخِرٌ بِلَلا انْتِهَاء لَلا يَفْنَى وَلَلا يَبِيْدُ وَلَلا يَقُوْلُ أَلَلاً مَا يُرِيْدُ لَلا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ وَلَلا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ وَلَلا يُشْبِهُ الْأَنَامَ حَيٌّ لَلا يَمُوْتُ قِيَامَ لَلا يَنَامُ . وَأُصَلّي وَأُسَلّمُ عَلَى مَنْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ إِنّكَ مَيّتٌ وَإِنّهُمْ مَيّتُوْنَ صَلَلاةِ مَا دَامَتِ الْسّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَى أَبَدِ الْدّهْرِ. أَمّا بَعْدُ

كثيرة هي الأمنيات التي تحدو أذهاننا صباح مساء, أمنيات في الزوجة والعمل والمركز الاجتماعي والمال والمسكن... ولكن، من منّا جلس مع نفسه يتفكر في شكل الخاتمة التي يرجوها لهذه الحياة, لا شك أن الناس يتفاوتون في أمنياتهم ورؤاهم لهذه اللحظة، وما من شك أن هذا الاختلاف ما هو إلا انعكاس لأحلام حياتهم كلها.

فتعالوا بنا نتأمل كيف تمنى الآخرون خاتمتهم:

* لما نزل الموت بالعابد الزاهد عبد الله بن إدريس اشتد عليه الكرب فلما أخذ يشهق بكت ابنته، فقال : يا بنيّتي لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .. كلها لأجل هذا المصرع..

* أمّا عامر بن عبد الله بن الزبير فلقد كان على فراش الموت يعد أنفاس الحياة، وأهله حوله يبكون، فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب، ونفسه تحشرج في حلقه، وقد أشتدّ نزعه وعظم كربه، فلما سمع النداء قال لمن حوله : خذوا بيدي!!..

قالوا : إلى أين ؟ ..قال : إلى المسجد..

قالوا : وأنت على هذه الحال !! قال : سبحان الله !! .. أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه خذوا بيدي .

فحملوه بين رجلين فصلى ركعة مع الإمام ثمّ مات في سجوده .. نعم مات وهو ساجد ..

* واحتضر عبد الرحمن بن الأسود فبكى فقيل له : ما يبكيك !! وأنت أنت .

يعني في العبادة والخشوع، والزهد والخضوع ..

فقال : أبكي والله أسفاً على الصلاة والصوم ثمّ لم يزل يتلو حتى مات..

* أما يزيد الرقاشي فإنه لما نزل به الموت أخذ يبكي ويقول :

من يصلي لك يا يزيد إذا متّ ؟ ومن يصوم لك ؟ ومن يستغفر لك من الذنوب ؟ ثم تشهد ومات ..

* وها هو هارون الرشيد لما حضرته الوفاة وعاين السكرات صاح بقواده وحجابه :

اجمعوا جيوشي فجاؤوا بهم بسيوفهم ودروعهم لا يكاد يحصي عددهم إلا الله، كلهم تحت قيادته وأمره فلما رآهم .. بكى ثم قال : يا من لا يزول ملكه .. ارحم من قد زال ملكه ..ثم لم

يزل يبكي حتى مات ..

* أما عبد الملك بن مروان فإنه لما نزل به الموت جعل يتغشاه الكرب ويضيق عليه النفس فأمر بنوافذ غرفته ففتحت، فالتفت فرأى غسالاً فقيراً في دكانه .. فبكى عبد الملك ثم قال : يا ليتني كنت غسّالاً .. يا ليتني كنت نجّاراً .. يا ليتني كنت حمّالاً .. يا ليتني لم آلِ من أمر المؤمنين شيئاً .. ثم مات ..

وهذا مشهد من عصرنا الحديث

* شاب أمريكي من أصل أسباني، دخل على إخواننا المسلمين فى إحدى مساجد نيويورك في مدينة 'بروكلين' بعد صلاة الفجر وقال لهم : أريد أن أدخل فى الإسلام.

قالوا : من أنت ؟ قال : دلوني ولا تسألوني.

فاغتسل ونطق بالشهادة، وعلّموه الصلاة فصلى بخشوع نادر، تعجّب منه رواد المسجد جميعاً.

وفى اليوم الثالث خلى به أحد الإخوة المصلين واستخرج منه الكلام وقال له: يا أخي بالله عليك ما حكايتك ؟

قال: والله لقد نشأت نصرانياً وقد تعلق قلبي بالمسيح عليه السلام، ولكنني نظرت فى أحوال الناس فرأيت الناس قد انصرفوا عن أخلاق المسيح تماماً، فبحثت عن الأديان وقرأت عنها فشرح الله صدري للإسلام، وقبل الليلة التي دخلت عليكم فيها نمت بعد تفكير عميق وتأمل في البحث عن الحق، فجاءني المسيح عليه السلام في الرؤيا وأنا نائم، وأشار لي بسبابته هكذا كأنه يوجهني، وقال لي: كن محمدياً.

يقول : فخرجت أبحث عن مسجد، فأرشدني الله إلى هذا المسجد فدخلت عليكم.

بعد هذا الحديث القصير أذّنَ المؤذن لصلاة العشاء ودخل هذا الشاب الصلاة مع المصلين، وسجد فى الركعة الأولى، وقام الإمام بعدها ولم يقم أخونا المبارك، بل ظل ساجداً لله فحركه من بجواره فسقط فوجدوا روحه قد فاضت إلى الله جل وعلا .

أخي في الله.. تأمل طويلا في هذه الخاتمة...

*وهذا زوج نجّاه الله من الغرق في حادث الباخرة 'سالم اكسبريس'، يحكي قصة زوجته التي غرقت في طريق العودة من رحلة الحج يقول: "صرخ الجميع (إن الباخرة تغرق(وصرخت فيها هيا أخرجي .

فقالت: والله لن أخرج حتى ألبس حجابي كله..

فقال : هذا وقت حجاب!!! أخرجي!! فإننا سنهلك!!!

قالت : والله لن أخرج، إلا وقد ارتديت حجابي بكامله فإن متّ ألقى الله على طاعة، فلبست ثيابها وخرجت مع زوجها فلما تحقق الجميع من الغرق تعلّقت به وقالت : استحلفك بالله هل أنت راضٍ عني ؟ فبكى الزوج.

قالت : هل أنت راضٍ عنى ؟ فبكى.

قالت : أريد أن أسمعها .قال : والله إني راضٍ عنك.

فبكت المرأة الشابة وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وظلت تردد الشهادة حتى غرقت فبكى الزوج وهو يقول: أرجو من الله أن يجمعنا بها في الآخرة في

جنات النعيم.

* وها هو رجل عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغي إلا وجه الله، وقبل الموت مرض مرضاً شديداً فأقعده في الفراش، وأفقده النطق فعجز عن الذهاب إلى المسجد، فلما اشتد عليه المرض بكى، وقال في نفسه: يارب أأذّن لك أربعين سنة وأنت تعلم أني ماابتغيت الأجر إلا منك، وأحرم من الآذان في آخر لحظات حياتي ؟!!

يقسم أبناءه أنه لما حان وقت الآذان وقف على فراشه واتجه للقبلة، ورفع الآذان في غرفته وما إن وصل إلى آخر كلمات الآذان "لا إله إلا الله".. خرّ ساقطاً على الفراش فأسرع إليه بنوه فوجدوا روحه قد فاضت إلى مولاها.

ختامها مسك

*وهذا الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله يقبض فى يومٍ أحبه من كل قلبه في يوم الجمعة يغتسل، ويلبس ثوبه الأبيض، ويضع الطيب على بدنه وثوبه ويصلي ركعتي الوضوء، وفي الركعة الثانية وهو راكع يخر ساقطاً فيسرع إليه أهله وأولاده، فوجدوا أن روحه قد فاضت إلى الله جل فى علاه.

*وهذا الشيخ سعيد الزياني يصلى عليه ويشهد جنازتة مئات الناس من مختلف الأجناس والأعمار يترحمون عليه ونحن شهداء الله في أرضه.

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه.

هذه قصصهم فهل سيأتي يوم نكتب فيه قصتي وقصتك.. بفخر وشرف وعزة؟

نسأل الله لنا ولكم حسن الخاتمة

كاتب المقالة : منقول
تاريخ النشر : 01/11/2010
من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com